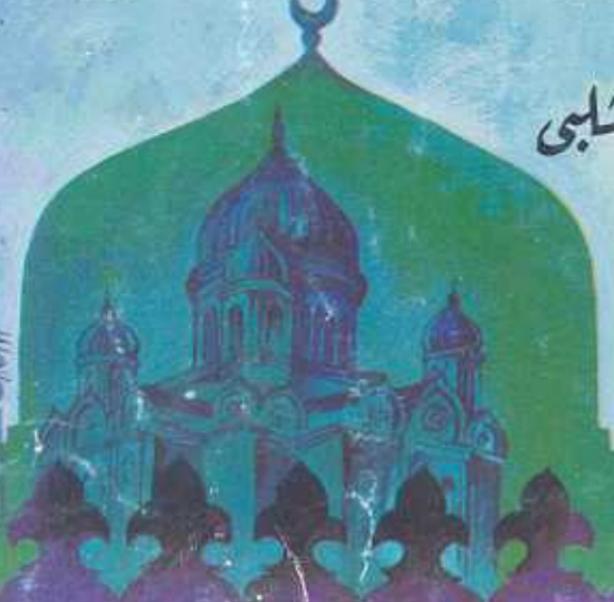


د. عبد الوهاب شابي



# صوت الإسلام يرتفع من موسكو



لنشر آثار العزباء والتجدد

# المؤتمر العالمي عن الإسلام والتفاهم بين مختلف الآديان والشعوب

تحت إشراف

هيئة اليونسكو - أكاديمية العلوم الروسية

ولجنة مسلمي آسيا

رؤبة إسلامية

لتحقيق هذا التقارب والتفاهم

دكتور عبدالودود شلبي

القاهرة

موسكو - روسيا

٢٥ - ٣٠ ذو الحجة ١٤١٥ هجرية

٢٥ - ٣٠ مايو ١٩٩٥ ميلادية

## موسكونا .. أو موسكو

ارتفاع صوت المضيفة في جنبات الطائرة يعلن قرب وصولنا إليها  
وهو بوطنا في مطارها.

لم يكن ذلك عيناً قبل أن تسقط الشيوعية، ولا قبل أن  
ينسحب الاتحاد السوفييتي من أرض أفغانستان المسلمة..

وقد لا يعرف الكثيرون من الأخوة أو القراء.. أنه كان لي مع  
الشيوعية موقف، وكان لهذا الموقف آثاره الخطيرة كما سوف تعرف.  
ففي عام ١٩٦٥.. وفي شهر أغسطس من هذا العام بالذات،  
نشرت في مجلة "نور الإسلام" التي كنت أشرف عليها آنذاك نشرت  
(فتوى) تحريم الزواج بين الشيوعي وأية فتاة مسلمة أو بين المسلم  
وأية فتاة شيوعية...!!.

كانت هذه الفتوى ردًا على سؤال من أحدى المذيعات في البرامج  
الموجهة من القاهرة وقد سألتني هذا السؤال بعد أن تقدم خطيبتها  
شاب تعرف أنه شيوعي.. وكان من الممكن أن تنسى هذه الفتوى  
كغيرها من فتاوى كثيرة في أضاضير المجلة، أو في عقول قرائها  
الطيبين الذين يعيش معظمهم في "الكفر" أو "المرذلة، أو  
"القرية" ...!!.

ولكن الله - جلت حكمته - أراد لهذه "الفتوى" ذيوعاً لم يكن

متزقعاً، وانتشاراً وضجيجاً بلغ أركان الدنيا..

لقد زارني في مكتبي مصادفة الأستاذ محمود الكولي محرر الشتون الدينية في صحفة الأهرام، وماكادت عيناه تقع على صورة الفتوى وهي لا تزال "بروفة" قبل الطبع. حتى هجم عليها وطلب صورة منها. ثم طار بها إلى صحفة الأهرام التي نشرتها في اليوم التالي وفي صدر صفحتها الأولى... .

وفي الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم الذي نشرت فيه الصحفة هذه الفتوى.. كنت أستمع إلى النشرة المسائية في محطة الإذاعة البريطانية.. فإذا بخبر هذه الفتوى يتتصدر هذه النشرة بل كان الخبر الأول فيها.. .

لم أنم تلك الليلة.. وكيف أنام بعد أن تطايرت شظايا هذه القنبلة في كل قطر وعاصمة.. وقد قامت الدنيا في القاهرة المحروسة.. وانطلق زبانية الشبوعية يتنددون بالأزهر وشبحه في ذلك الوقت المرحوم الشيخ حسن مأمون - وبالرجحية التي تقف في وجه التحول الاشتراكي مع ماركس والجلز ولينين... .

\*\*\*

كان الرئيس عبد الناصر على مرعد للقيام بزيارة إلى موسكو بعد أسبوع.. وهذا الذي نشر يمكن أن يفسد هذه الزيارة أو على

الأقل يبطل مفعولها وأثرها في الاستجابة لمطالب مصر من الاتحاد السوفييتي الذي كان يمثل في هذا الوقت «كل شيء» بالنسبة للقادة أو الساسة؟!

وأشهد.. وعلى الرغم مما أصابني في عهد الرئيس عبدالناصر أن نشر هذه الفتوى وبهذه الصورة، وفي جريدة الأهرام التي كان يرأس تحريرها محمد حسين هيكل وفي الصفحة الأولى، وفي العمود الأول منها..

أشهد.. بأن "عبدالناصر" لم يكن شيووباً !! .. ولا.. لو كان هو كذلك.. لدفنت قبل أن يطلع الفجر! هنا إن لم يختلف البيت والشارع الذي كنت أسكن فيه من على ظهر الأرض!!!

\*\*\*

وأذكر للتاريخ أيضاً...

إن الصديق اللواء - المرحوم - عاطف سعد السكري المساعد للمؤتمر الإسلامي قبل اختفائه.. حضر إلى مكتبي بعد ثلاثة أيام من صدور هذه الفتوى.. كان معه رجل أخافني مظهره المتصلب.. وعيناه اللتان لا تطردان بعد أن يصوبها إلى وجهك.. !!!  
لقد قال لي اللواء عاطف - رحمه الله -  
- من أصدر هذه الفتوى..؟

- قلت له متردداً.. ولماذا؟

- قال اللواء عاطف جئت لأقبل يده...!!!

- "(ياما أنت كريم يا رب)..."!!!؟؟؟

قلت ذلك في نفسي بعد أن أخبرني بأن التيار الأقوى في رئاسة الجمهورية، يؤيد ويساند هذه الفتوى...!!!  
وأن المعارضين لها قلة معروفة بالاتحياز والولاء لموسكو...!!!

\*\*\*

بل حدث في معتقل "مزرعة طرة" حيث كنت معتقلاً آنذاك.. أن  
دعى للاشتراك في محاضرة من تلك المحاضرات التي كانت تنظمها  
المباحث العامة" لتوعية المعتقلين في هنا المعتقل.

- كان - حسين عاشور - زميلاً لي في هذه المزرعة  
لقد قلت في هذه المحاضرة: إننا مسلمون، وسبقى مسلمين.  
ولن يكون للشيوخية والشيوعيين مكان فوق أرض مصر  
المسلمة... وإنني كمسلم.. أعتبر نفسي قريباً من المسيحي الذي  
يؤمن بوجود الله - من الشيوعي - حتى وإن كان هذا الشيوعي  
يحمل اسم مسلماً أو ولد في بيت مسلم!!!

\*\*\*

لقد هاج الشيوعيون في المعتقل.. وكانوا مجموعة صغيرة من

"الماوين" .. أى من الذين يعتقدون الشيوعية على مذهب "ماوتسي تونج" وسمّعهم المعتقلون وهم يهتفون بسقوط "عبدالرودود جونسون" .. وكان "جونسون" هو الرئيس الأمريكي في هذا الوقت...!!!

فهل كان من الممكن أن أزور موسكو ولی عندها هذا الملف...!!!؟؟؟

وإذا كان الشيوعيون يهتفون بسقوطى في مصر.. وفى داخل سجن فمادا يفعل بي الشيوعيون في موسكو لو وقعت في الفخ...!!!

ومنذ ستة أعوام التقيت في حفل عشاء أقامته دار الشرقية تكريماً للمفتى "(بابا خانوف)" .. التقيت بالمستشار السياسي السوفييتي في القاهرة... لقد سر الرجل بمعرفتي وتقني لو قبلت دعوة لزيارة الاتحاد السوفييتي...؟؟؟

فاعتذرتأت بأدب.. وروعده بالاستجابة لهذه الدعوى بعد انسحاب الاتحاد السوفييتي من أرض المسلمين والعرب...!!!

\*\*\*\*

إن "موسكو" كمدينة.. لا أكبرها.. فروسيا وبالرغم من التصاقها بالغرب دولة نصف شرقية.. وشعبها خليط من شعوب

واليوميات يربطنا بها إيمان وعقيدة .. حتى سيبيريا . التي كانت  
منفى لكل من ينكر في الحرية، أو يتغىظ بكلمة يشتم منها رائحة  
التمرد أو الشورة .. سيبيريا هذه .. لنا فيها أشتاء وآخوة، وفيها  
مساجد ومعاهد ترفع صوت الإيمان والعقيدة ..

تقول إحدى الروايات: أنه عشر على سبعة من الدعاة والأئمة  
طمرتهم الشلوج وهم في طريقهم إلى إحدى مدن سiberia، وكانت  
المفاجأة عندما كشفوا عن جثثهم أن رأوا أكفهم مرفوعة إلى السماء  
كمن ينطق بالشهادتين قبل أن يفارقوا هذه الدنيا !!!

وبالرغم من هذا كله.. كنت أحب رؤية موسكو.. لم أكن أشعر  
بنفور داخلي من رؤية هذه المدينة.. أما لماذا؟ فلأن الكراهية  
والحب عاطفتان تتسمان بالتمرد، ولا تخضعان لميزان العقل  
والمنطق..؟ **كتور سليمان**

مثلا.. لا أجد حافزا واحدا يدعوني لزيارة أمريكا!! أما لماذا  
بابتي.. لا أجد لهذا النفور حتى هذه اللحظة سببا واحدا معقلا..  
فالرجل كما يقول المثل الشعبي (تدبر مطرح ماتحب) وإن  
كنت في الواقع لا أكره الشعب الأمريكي أبدا..  
إن معظم من عرفتهم من الأميركيان.. يتسمون بالطيبة ..  
أقصد عامة الشعب - لا رجال الدين ولا المخابرات ولا السياسة ..

بل إن كل أصدقائي الذين زاروا أو عاشوا في أمريكا يؤكدون هذه الحقيقة.

حقيقة هذه "الطيبة" التي استغلتها الصهيونية لأغراضها الخبيثة ولكن بالنسبة لي فإن الأمر مختلف جداً.. وقد دعبت مرتين قبل ذلك من جهات علمية.. ودينية. ومنذ حوالي عشرة أشهر اتصلت بي السيدة الفضلى، المستشارة الثقافية في السفارة الأمريكية بإلقاء محاضرات في جامعة "هارفارد" عن الإسلام والشريعة.. إنها دعوة كريمة من سيدة كريمة هي المز رانسوم.. وجامعة هارفارد هي أهم جامعة في أمريكا.. ولكن ما الحيلة، إذا كان قلبى يتصور أمريكا (بعها) مخيفاً.. ويتصور شوارعها ومدنها "غابة" تصول فيها الوحش جبنة وذهاباً...!!!

لم أشعر بثل هذا الخوف وأنا أخطو أولى خطواتي في شوارع موسكو.

هذا وبالرغم من تحول هذه المدينة إلى "mafia" !! .. وإلى عصابات تهدد حياتك وأمنك نهاراً وليلاً...  
في "فندق" كوزموس أي الفضاء باللغة الروسية. وقد اختاروا لهذا الفندق هذا الاسم لوجود نموذج مجسم لأول صاروخ فضاء أطلق

عليه هذا الإسم قريباً من الفندق .. كانت التعليمات من إدارة  
الفندق ألا تفتح الباب لأحد لا تعرفه .. وأن تتأكد دائماً من إغلاق  
غرفتك بعد أن تدخل إليها أو تخرج ..

الشيء الوحيد الذي لم يكن عليه قيد هو "الهوى" ...  
كدت أبكي.. حين رأيت فتاة صغيرة في سن السادسة عشرة  
وهي تعرض نفسها علينا ... إنني أتظر إلى مثل هذه البائسة  
نظرتني إلى أي فتاة أو امرأة في هذه الدنيا .. إن "(عرض)"  
البشرية من وجهة نظر الإسلام واحد ! ... وإن امتحان عرض أية  
فتاة أو امرأة - تحت ضغط الفقر وال الحاجة - هو امتحان لـ "عرض"  
البشرية كلها ...

٤٤٤

روسيا الاتحادية كما قال أحد المسؤولين في قاعة المؤتمرات  
سافرنا من أجله .. روسيا الاتحادية .. كما قال هذا المسؤول دولة  
مسيحية إسلامية .

فالمسلمون في روسيا الاتحادية يمثلون حوالي ١٤٪ من مجموع  
السكان .. إن في موسكو العاصمة وحدها حوالي مليون مسلم ..  
وهناك جمهوريات إسلامية كثيرة تقع داخل روسيا منها  
جمهوريات: تataria، وشكميريا، وموروفيا، وتشوفاشيا،

وداغستان، وجمهورية القرم، وجمهورية الشيشان، وجمهورية كبارديا، وجمهورية قرتشاي.. صحيح.. أنها جمهوريات صغيرة، ولكنها بالنسبة لروسيا تثل أهمية من حيث الموقع والثروة وقد نشرت مجلة التايم الأمريكية في عدد ١١ إبريل ١٩٨٨ م بحثا تاريخيا عن انتشار المسيحية في روسيا بمناسبة مرور ألف عام على دخول المسيحية إلى روسيا.. تقول المجلة:

لقد أصبحت المسيحية الدين الرسمي في روسيا منذ عام ١٩٨٨  
عندما قرر الأمير فلاديمير اعتناق المسيحية واعتبارها الدين الرسمي  
للدولة. ولكن قبل أن يحدث ذلك.. كانت هناك محاولات جادة من  
قبل الروس لاعتناق الإسلام.

وتقول الروايات التاريخية: إن من الأسباب التي صرفت هؤلاء  
الروس عن المضي في هذه المحاولة أنهم - أي الروس - علموا بأن  
الإسلام يحرم الخمر وهم لا يستغنون عن الخمر.

هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى ترجع في مضمونها إلى التقاليد  
الإسلامية العريقة وفي أسلوب الحياة الذي يجب أن يكون تطبيقها  
عمليا لأحكام الدين والشريعة وبخاصة في مجال التطهير..  
والنظافة..

\*\*\*

وقد حكم التتار المسلمين موسكو أكثر من قرنين وكانت ولاية  
موسكو تدفع الجزية لهؤلاء التتار ستينيا ١٤٠٠ محوَّلَى  
ومن العجيب أن المسلمين التتار الذين التقى بهم في موسكو  
يختلفون عن "تتار" المغول الذين خرج من بينهم "هولاكرو" و  
"جنجيز خان" و"تيمورلنك" أو "تيمور الأزرق" .. يختلفون عنهم  
في كل شيء في طول القامة. وبياض البشرة وجمال الصورة.. لم  
أصدق وأنا أرى الفتیات المسلمات من تatar روسيا. وقد كشاهد  
الحجاب جمالا فوق جمالهن.. وكن أشبه بالفراشات اللاتي يبهرن  
خفتهن ورشاقتهن!! لم أصدق أن هؤلاء تتار أبدا.

سألت "إلدار" الشاب التتاري المسلم الذي يعمل في إذاعة  
"الرسالة" التي أنشأها" (لجنة مسلمي آسيا)" ويديرها الآن الدكتور  
عبدالله سعد.

قلت له: الدار.. - أى ياصاحب الدار باللغة التتارية. من أنت؟  
ومن أين جئت؟

فقال لي: نحن تتار بلغاريا.. لا تتار منغوليا.. ولا يحتاج  
المدق الفاحص إلى دليل للتمييز بيننا وبين تتار منغوليا.  
ومن العجيب أن "تتار" روسيا هم الذين قاموا بنشر الإسلام في  
معظم الولايات الإسلامية الداخلية ضمن اتحاد روسيا. بل أن هؤلاء

الستانار هم الذين حملوا الإسلام إلى "سيبيريا" وغيرها من الأطراف البعيدة في روسيا.

ولكن متى دخل الإسلام إلى تataria؟

يقول المؤرخون:

لقد وصل الإسلام إلى (تataria) في بداية القرن الرابع الهجري عندما وصل التجار المسلمين إلى حوض نهر الفولجا، وأسلم شعب البلغار، وأرسل إليهم الخليفة العباس المقדר (٢٩٥ هـ - ١٣٢٠ م) من يفتشهم في الدين وكان الإسلام يسود منطقة الحوض الأدنى من نهر الفولجا، بل تجاوزها إلى منطقة القرم في شمال البحر الأسود.

غير أن الدفعية الأساسية للدعوة الإسلامية في حوض الفولجا وصلت بإسلام التatar، فعندما احتلها قياصرة روسيا في سنة (٩٦٠ هـ - ١٥٥٢ م) كان الإسلام منتشرًا بين سكانها، واضطهد أهلها، وحاول الروس جذبهم إلى المسيحية بالقوة والقهر ولكنهم فشلوا، ولقد بذلت الامبراطورية كاترين الثانية جهوداً جبارة في هذا المجال في سنة (١٧٧٨ - ١١٩٢ هـ) فأمرت بأن يوقع كل الذين اعتنقاً المسيحية على أقرار كتابي يتعهدون فيه بترك خطابهم وتجنب الاتصال بال المسلمين الكفار. *كتور سلبي*

وقد طبق هنا بالقوة على التستانار المسلمين ولكنهم كانوا

مسيحيين أسماء، ثم تخلصوا من هذا التعسف، وظلوا على إسلامهم ولقد دونت اسماؤهم في السجلات المسيحية زوراً ووقف التيار في ثبات وقوة ضد المتصرين وحملاتهم، وشهد القرن التاسع عشر الميلادي عدة قوانين تحذر من انتشار الدعوة، لدرجة أن القانون الجنائي الروسي كان يعاقب كل شخص يتسبب في تحويل مسيحي روسي إلى الإسلام بالأشفاف الشاقة، ورغم هذا انتشرت الدعوة بصورة سرية، ولما صدر قانون حرية الدين في روسيا في سنة ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) سُنحت الفرصة للدخول في الإسلام بصورة جماعية، وقد بلغ عدد من أعلنوا إسلامهم في سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) ثلاثين وخمسين ألفاً.

وهكذا أخذت الدعوة الإسلامية في الانتشار، ودخل السكان في الإسلام أفواجاً وسارت الدعوة الإسلامية قدماً في حماسة بالغة وكان كل مسلم داعية إلى دينه، ولقد خدمت الدعوة الإسلامية هجرة جماعات من احترقوا الحياكة في القرى الإسلامية في زمن الشتاء، واعتلق هؤلاء الإسلام، وعند عودتهم إلى قراهم تحولوا إلى دعاة للإسلام، وأثمرت دعوة التيار أنصاراً في سiberia وغيرها، وتبل استيلاء السوقيات على السلطات كان في مدينة "قازان" عاصمة جمهورية تataria جامعة إسلامية بها سبعة آلاف طالب في مستهل

القرن العشرين - وكان بها مطبعة أخرجت مليون نسخة من مائتين وخمسين كتاباً في سنة (١٣٢٥ - ١٩٠٢م)، كما كان بمدينة قازان مكتبة إسلامية، كان يزورها عشرون ألف قاريء سنوياً، وانتشرت المساجد حتى بلغت مسجداً لكل ألف مسلم في جمهورية تataria...!!

\*\*\*\*

وهكذا كان الإسلام مزدهراً بتataria قبل الثورة الماركسية في روسيا وقد نشأ في قازان مركز للدعوة الإسلامية واجتهد علماء قازان في الدعوة وطبعوا منشورات لها، واهتموا بالتعرف على الإسلام واجتهد علماء قازان في الدعوة وطبعوا منشورات لها، واهتموا بالتعرف على الإسلام باللغة التatarية، وانتشر الدعاة (مبادرات) وطلاب جامعة قازان في القرى والفيقaci يدعون الناس للإسلام، ونشطوا في هذا الأمر بعد صدور قانون حرية الدين في روسيا في سنة ١٩٠٥م، ونجحوا في بث الدعوة الإسلامية بين تatars سيبيريا.

وبعد أن استولى السوفيات على الحكم، انتلت الأوضاع، وواجه التatar حريراً قاسية على معتقداتهم، فأغلقت المدارس الإسلامية ودمرت المكتبات والمطابع الإسلامية في قازان عاصمة تataria، وواجه

ال المسلمين موافق مؤلمة وثاروا ضد الاضطهاد الديني، وقدمو العديد من الشهداء، حتى أولئك الذين تعاونوا مع الشيوعيين في البداية، مثل السلطان "على أوغلى" والذى دعا السوفيات باسم عاليات، وقد نادى بتوحيد المسلمين فى روسيا فى كيان دولة واحدة تتحد مع السوفيات على مستوى واحد، فقبض عليه فى سنة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م)، وأعدم فى سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) ولقد رفض السوفيات وحدة الأرض الإسلامية بل أخذوا يجتهدون فى تنفيتها إلى قوميات للقضاء على هذه الوحدة...!!

\*\*\*

ولقد أدمج الروس كل المناطق الإسلامية التي توجد في روسيا الأوروبية في إدارة دينية واحدة مقرها في مدينة "أوفا" عاصمة جمهورية بشكيريا، وترشّف على المسلمين في سيبيريا أيضاً، وجردوا هذه الإدارة من كل السلطات فأصبحت أمراً شكلياً..

\*\*\*

إن أكثر المذاهب الإسلامية انتشاراً في الاتحاد الروسي هو المذهب الحنفي يليه المذهب الشافعى ثم مذهب الشيعة الجعفرى، وأهم الطرق الصوفية في الاتحاد السوفياتي هي:

- (١) الطريقة النقشبندية.
- (٢) الطريقة الشاذلية.
- (٣) الطريقة القادرية.

ولهذه الطرق الصوفية - في وقتنا الحاضر - تأثير كبير على احياء الروح الإسلامية، والاعتزاز بالشخصية الإسلامية، وفي مواجهة التيارات الالحادية والمادية.

بل إن مجلة "التايم الأمريكية" نشرت تقريراً لها منذ سبعة أعوام سلطت فيه الضوء على ما تقوم به هذه الطرق الصوفية من أنشطة حافظت على الروح الإسلامية وخرجت بها من محنّة الالحاد إلى روضة الإيمان والعقبة.

\*\*\*\*

قال لي واحد من أهل الخبرة:

إن في روسيا الآن فراغاً روحيًا يبحث عن مسده.. لقد أدى انهيار الشيوعية إلى انهيار كل شيء.. السياسة.. الاقتصاد.. الأمن.. والكنيسة.. فالكنيسة لم يكن لها دور آبان الحكم الشيوعي.. بل كانت من بين المالعين لهذا الحكم في الظاهر على الأقل.. مما جعل الناس يتذمرون إليها كإحدى المؤسسات المندمجة في ديوان الحكم.. بل إحدى أدواته التي كان يسخرها لاغراضه في أي وقت..

والفرصة متاحة أمام الإسلام.. ولكن أين هم الدعاة المسلمين الذين تناط بهم هذه المهمة أو يقومون بأداء هذه الرسالة.. لقد

تسابقت بعض الدول الإسلامية إلى نشر المذهب لا إلى نشر  
الدعوة...!!!

وقد سمعت قصصا حزينة ومؤلمة عما أدى إليه هذه السياسة من تخرّب العمل الإسلامي وتقزّه وتراجيغ نيران الفتنة بين المسلمين الذين لم تلتهم جراحهم من الجزار الشبواني الذي لا يزال شبحه ماثلا أمام الأعين...!!!

\*\*\*

إن المصيبة الكبرى في وجود هؤلاء الغلطاء الأكباد على الساحة إن الكارثة محققة - لو استمر هذا الأسلوب - على وحدة المسلمين في العالم كله.. نحن في حاجة إلى وقفة أمام طوفان الجمالة والتعصب والذي يزحف مدعوماً بالمال الأسود...!!!  
إن هذه الأمة تبحث عن قائد.. عن إمام هاد يلم شملها البعض وينقذها من أيدي هؤلاء الأدعياء الذين فقدوا مواهب الارشاد والنصح، وحرموا من آية موهبة تحكمهم من التحدث أو القول...!!!  
لهذا .. كان من أهم القرارات التي صدرت عن هذا المؤتمر "إنشاء مجلس إسلامي أعلى لسلمي روسيا الاتحادية" مجلس أعلى لكل المسلمين. تلتقي فيهم كلمتهم على هدف موحد وعلى رؤية إسلامية مستنيرة تتجاوز التعصب لهذا المذهب أو لهذا

الذهب. رؤية إسلامية يتفق عليها الجميع للنهر من بالدعوة،  
والخروج بها من هذا المأزق..

\*\*\*

وها هي "موسکو" تتراءى أمام عيني الآن من نافذة الطائرة..  
كانت الشمس ساطعة. ودرجة الحرارة كما تقول مضيفة الطائرة فوق  
الثلاثين درجة..!

لقد فوجئنا.. جميعاً بصدمة.. فقد كانت حقائبنا محشوة  
بالمعاطف والأردية الصوفية الثقيلة.. كنا نتوقع ثلوجاً يتجمد منها  
البدن..!

فإذا بالناس يسبرون نصف عرايا في الشارع، وإذا بشبابنا التي  
حملناها معنا من القاهرة تحول إلى "زنارين" يختلط فيها العرق  
بالروائح..!!

موسکو خدعتنا.. وهذا الخداع عادة روسية قديمة كما تقول مجلة  
النائم.. غير أن الخداع لا يصمد طويلاً أمام وهج الحقيقة.. حقيقة  
الإسلام التي تألقت في مؤتمر "الإسلام والتقريب والتناهض بين  
الشعوب والأديان" والتي كان من ثمرتها هذه المحاضرة التي سوف  
تنتقل إليها مباشرة من الآن..!!

## الباب الثاني

في "الباء" كان "الكلمة" كما يقول الكتاب المقدس. فماي كلمة  
تلك التي أبدأ بها حديثي معكم؟  
إنها السلام عليكم..  
أجل السلام عليكم..  
 فمن أجل هذا (السلام) جتنا إلى هذا المزتر..  
وهل كانت رسالة الأنبياء والرسل إلا سلاما إلى جميع البشر..  
سلام بين الإنسان وربه..  
وسلام بين الإنسان ونفسه...  
وسلام بين الإنسان وأخيه الإنسان مهما يكن لونه، أو عقيدته..  
أو جنسه..  
والإسلام.. والسلام كلمتان مشتقاتان من مادة واحدة..  
يقال : أسلم الرجل أي دخل في الإسلام..  
كما يقال: أسلم الرجل إذا دخل في السلم أي السلام..  
ولهذا كانت تحية المسلمين فيما بينهم بالسلام..

وختام الصلاة بينهم يكون بالسلام ..  
 وقد نزل القرآن في ليلة كلها سلام (١) ..  
 وتحية الله للمؤمنين يوم يلقونه سلام (٢) ..  
 وجنة النعيم في الدار الآخرة اسمها دار السلام (٣) ..  
 ومن أسماء الله الحسنى التي تدعوه بها الملك .. السلام (٤) .

\*\*\*

لقد سجل المؤرخ والفيلسوف الامريكي ويل دبورانت عدد سنوات الحرب التي خاضتها البشرية فوق هذه الارض فوجدها ٣٤٢١ "ثلاثة آلاف وأربعين وواحداً وعشرين عاماً" بينما لم تزد سنوات السلام والهدنة عن ٢٦٨ "مائتين وثمانين وستين عاماً" (٥) ..

لقد قتل في الحرب العالمية الأولى ١٠ "عشرة" ملايين نسمة، بينما قتل في الحرب العالمية الثانية ٧٠ "سبعين" مليون نسمة منهم ٤٤ "أربعة وأربعين" مليوناً قتلوا هنا في روسيا ..  
 ومنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية قتل أكثر من ٣٠ "ثلاثين

(١) سورة التبر و هي السورة رقم ٩٧ في القرآن.

(٢) سورة الأحزاب - ٤٤.

(٣) سورة الانعام - ١٢٧.

(٤) سورة الحشر - ٢٣.

(٥) كتاب (الاسلام وغرابة السيف) - للباحث - نقلًا عن نصمة المضاربة - لـ (ويل دبورانت) ..

ملبونا في حروب اقليمية مختلفة..  
وكما تقول هيئة الأمم المتحدة: إن ثلاثة ألف نسمة يموتون  
صباح كل يوم بسبب الفقر والمجاعة.. وبلغ مخزون الأسلحة النووية  
ما يكفي لتدمير العالم خمس مرات. كما بلغ نصيب كل إنسان  
يعيش فوق هذه الأرض من مخزون هذه الأسلحة خمسة أطنان من  
المتفجرات!!!

فأى كارثة تلك التي يواجهها الإنسان في هذا العصر لو سارت  
الحياة على هذا النحو؟

فليكن مؤمننا هذا بداية لسلام حقيقي بين جميع البشر. فليس  
منا أحد يستطيع أن يعيش غريباً عن الناس كل الغربة، لقد أصبح  
عالمنا الذي نعيش فيه قرية صغيرة، ولم يعد من الممكن الانكفاء -  
على الذات - في عزلة أو قطبية..

ومن هنا تأتي أهمية هذا اللقاء.. وأهمية ما يقال في هذا  
اللقاء (١) ..

---

(١) لقد ظهر في أمريكا كتاب اسمه (حضارة المايا) وفي هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن  
ابادة مائة مليون من البشر من ابناء هذه الحضارة الذين كانوا يسكنون أمريكا الشمالية  
والجنوبية على أيدي أبناء أوروبا السبعية..! وقد تكررت هذه المذابح في استراليا ضد  
سكانها الأصليين من شعب (الايندجانال).

إن البشر - كما يقرر القرآن - إخوة.. وأبناء لأب واحد وأم واحدة:

"(يا أيها الناس: اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها. وبث منها رجالاً كثيراً ونساء) (١)." .

"(يا أيها الناس: إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) (٢).." .

والإنسان في كتابنا السماوي المقدس هو أكرم مخلوقات الله وخليقته في أرضه.

"(إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: "أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ الدَّمَاءَ وَتَعْنَى تَسْبِيحَ بِحَمْدِكَ وَنُقْدِسِ لَكَ، قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٣).." .

ولأنه: أي : الإنسان خليفة عن الله في الأرض. وكان أكرم مخلوقاته بين الناس. فما نراه حولنا في هذا الكون من عوالم. عالم النجوم والكواكب. وعالم الحيوان والنبات. وعالم الطير والجماد.. وكل ما عرف فوق سطح هذه الأرض من جبال وبحار وما خفي في أعماقها من معادن وثروات كل هذه العوالم خلقت من أجل هذا الإنسان وسخرت بارادة الله لتكون في خدمة هذا الإنسان..(٤).." .

(١) سورة النساء - ١. (٢) سورة الحجرات - ١٣. (٣) سورة البقرة - ٢٠.

(٤) أنظر في هذا الموضوع كتاب (من ورائع حضارتنا) - د/ السباعي - و(النظام السياسي في الدولة الإسلامية) - د/ محمد العرا.

"وَسَخْرَ لِكُمُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنَّجْمُ مَسْخَرَاتٍ  
بِأَمْرِهِ.. إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَاتُ لِقَوْمٍ يَعْقُلُونَ" (١) ..

"وَمَاذَرَ لِكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَاتُ لِقَوْمٍ  
يَذَكَّرُونَ، وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيبًا وَتَسْخَرُونَ  
مِنْهُ حَلْبَةً تُلْبِسُونَهَا وَتَرَى النَّفَلَكَ مَوَاقِرَ فِيهِ وَلِتَبْغُونَ مِنْ قَضَلَهِ،  
وَلِعُلَمَكُمْ تُشَكِّرُونَ. وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَّ أَنْ قَبَدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا  
وَسَبَلًا لِعُلَمَكُمْ تَهَدُونَ" (٢).

\*\*\*

ولأن البشر كلهم أخوة، وكرامتهم عند الله واحدة، فقد معا  
الإسلام بكلمة واحدة كل أسباب التفرقة، وأسقط كل المزاعم التي  
تميز انسانا على انسان بالجنس أو اللون أو الطبقة.  
"(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)" (٣).

\*\*\*

أجل.. إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. هذا هو الميزان الحق الذي  
يوزن به الناس.. فالعدالة الإسلامية ترفض أي امتياز لإنسان على  
آخر بسبب اللون أو الجنس.. ولم يؤثر أو يعرف عن مفكري الإسلام

(١) سورة التحل - ١٢ (٢) التحل - ١٣ - ١٥: (٣) الحجرات - ١٣

رات  
قرم  
جوا،  
سله،  
سارا

حرا  
لتي  
الذى  
على  
سلام

أو فقهائه قول يخالف هذه القاعدة التي أرسى قواعدها القرآن  
والنبي (صلى الله عليه وسلم) .. ولم يقل أحد من المسلمين ما قاله  
(منتسكبيو) عن الجنس الأسود بأن الله - جل وعلا - أحكم من  
أن يضع روحًا في جسد أسود.(١)...

ولم يقل أحد من المسلمين ما قاله (الكونت الفرنسي جوزيف  
آرثر) بأن (كل شئ عظيم أو نبيل أو مشمر في أعمال الإنسان  
على ظهر هذا الكوكب، في الفن والحضارة، يصدر من نقطة انطلاق  
واحدة، ويتجزء عن تطور جرثومة واحدة...) وينتمي لأسرة واحدة  
يعينها سادت فروعها المختلفة في جميع أقطار العالم المتحضر...  
فال تاريخ يبين أن الحضارة يأسراها مصادرها الجنس الأبيض، وأنه لا  
يمكن لأية حضارة توجد بغير عونه، وأن أي مجتمع لا يعظم ولا  
يتأنق إلا إذا حافظ على دم الجماعة النبيلة التي خلقته(٢) ..

\*\*\*

إن الإسلام ينظر إلى الاتسائية كحقيقة كبيرة تختلف ألوان  
أزهارها دون أن يكون لللون فضل على لون.. أو لصورة على  
صورة ..

(١) د/ عبدالعزيز كامل - الترقية المنصرية - القاهرة ١٩٦٣ م

(٢) دروس من التاريخ - (ريل ديرارات) الطبقة المنية

استمع إلى هذا الحديث الذي يقول فيه النبي (صلى الله عليه وسلم): "(أنا سايف العرب.. وصهيب سايف الروم - وكان رقيقاً من الروم - وسلمان سايف الفرس - وكان رقيقاً من الفرس - وبلال سايف الحبش - وكانأسود رقيقاً من الأحباش)"

ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم):  
"(لبنين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن عند الله أهون على الله تعالى من الجعلان.. الحرباء)..."

فليس لعرب على عجمي فضل...  
وليس لعجمي على عرب فضل...  
وليس لأسود على أبيض فضل..

و.. لا أبيض على أسود فضل.. ألا بالتقى(١) .. بل نقرأ:  
إن أبيا سفيان - وكان من أشراف قريش المحاربين للإسلام - مر  
على سلمان الفارسي ، وصهيب الرومي وبلال الحبشي - ف قالوا:  
والله ما أخذت سيف الله من عنده الله.. وسمع ذلك أبو بكر فقال:  
أنتمون هذا لشيخ قريش؟

وذهب أبو بكر وأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بما سمع وعا

---

(١) انظر سيرة ابن هشام، وانتاج الاسماع، وغيرهما من كتب السيرة النبوية. والبخاري  
وسلم.

قال:

فقال النبي لأبي بكر:

"( يا أبا بكر لعلك أغضبهم؟ إن كنت أغضبهم فقد أغضب  
ربك...) ".

فأثأهم أبو بكر وقال:

- يا أخوتاه أغضبتم؟

- ما غضبنا يغفر الله لك...

وكان عمر يقول:

"( أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا - يعني . بلا ) الذي كان  
رقيتا.." ..

وقد تزوج بلال أخت عبد الرحمن بن عوف (القرشى التاجر  
الكبير...).

وأعتق الإمام الحسين جارية ثم تزوجها فكتب إليه معاوية يقول:  
كيف تتزوج جارية؟

فقال له الإمام الحسين:

لقد رفع الله بالاسلام الخيبة ووضع عنا به النفيضة..

\*\*\*

والقرآن هو الكتاب السماوى الواحد الذى يعترف بما سبقه من

الطبعة

اللهم إني أسلم إيمانك بآياتك وآمنت بالقرآن نفسي..

٢٠ آمن بالله ما أنزل الله من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله

<sup>(١)</sup> ...لَا كُنْهٌ، كَتْبَهٌ، سَلَهٌ لَا نَفْقَهٌ بَنْ أَحَدٌ مِنْ رَسُولِهِ

فمن آمن بالق آن ولم يؤمن بالإنجيل والشورة - كما أنزلا من

عند الله - فيه لبس مسلما..

والق آن بيمن يحسم الأنبياء والرسل من لدن آدم إلى المسيح

ومحمد عليهما السلام.

٢٠) قَدْ لِمَا أَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا، وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ

اساعيل، واسحاق ويعقوب والأسباط وما أotti موسى وعيسى.

ما أتى النّاسُونَ مِنْ دِيْنٍ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ

..(2) "Gardens

فمن آمن بِمُحَمَّدٍ وَلَمْ يَهْرُجْ نَبِيًّا فَأُخْرِ ذِكْرِهِ الْقُرْآنُ فَهُوَ لِبِسٍ

二三

三

وـ: حقائق القرآن التي تدل على شمول عقائده، أنه يعتبر

الآية الأولى: جمعها واحدة وهي: ((الإسلام)) والاختلاف بين رسالة

الثالث: اختلاف انتضجه الطمعة البشرية طبقاً لتطور

٢٨٦ - ج ٢ (١)

الاتسان من مرحلة إلى مرحلة. فإذا كان الاتسان يولد طفلاً ثم يموت شيئاً، وكان لكل مرحلة من مراحل عمره ما يناسبها من الفنا والتربيـة. فكذلك كانت الإنسانية في مراحلها الأولى كما قرر ذلك علماء الاجتماع والتربية.

**يقول القرآن:**

"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى أوحينا اليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" (١).

وفي هنا يقول النبي محمد (صلى الله عليه وسلم):  
”مثلى. ومثل الأتباء قبلي كمثل رجل بنى بيته فأحسنه  
وأجمله إلا موضع لبنته. فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له  
ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة فأننا اللبنة وأنا خاتم النبيين”..

三

ولما كان من معانى الإسلام (الانتقاد والخضوع لله) فإن القرآن يعتبر كل مانى هذه الحياة مسلماً. لأن كل مانى الحياة خاضع لقوانين الله ومشيته في الخلق والحياة..

١٣) الشرى -

"وله أسلم من في السموات والأرض طرعا وكرها)"<sup>(١)</sup>  
بل يعتبر القرآن عالم الحيوان والطير أمة من الأمم. لها حقوق  
يجب أن تلتزم وتعامل بأسلوب يراعى ويحترم..  
"وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بمحاجبه إلا أمة  
أمثالكم)"<sup>(٢)</sup> ..

وفي هذا يقول نبى الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم):  
" بينما رجل يمشى في الطريق اشتد عليه العطش. فوجد بنرا  
فنزل فيها وشرب ثم خرج..  
فرأى كلبا يلتهث. يأكل الشرى من العطش. فقال الرجل: قد بلغ  
هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي.  
فنزل البشر. قملأ خفه ثم أمسكه بفمه (أى : فمه) فسقى  
الكلب. فشكرا لله. فففر له.  
قالوا - أى أصحاب النبي - : يارسول الله.. وان لنا في البهائم  
لأجر؟

فقال: " (في كل ذات كبد رطبة أجر)" .. وقال نبى الإسلام  
(صلى الله عليه وسلم):  
"لاتختلوا ظهور دوابكم منابر إنما سحرها الله لكم لتبلغكم إلى

---

(١) آل عمران - ٨٣. (٢) الأنعام - ٢٨.

حقوق

أم

د بثرا

د بلغ

تى

بهايم

سلام

كم الى

بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس)..."

و حين رأى (صلى الله عليه وسلم) أحد أصحابه يحمل طائرًا في يده و نظر أم هذا الطائر تجوم فوق رأسه. اعترض على هذا العمل وقال:

"(من قبّع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها)" ..

وقال:

"(مامن مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فباكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)" ..

وفي ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء المسلمين من أحكام الرحمة بالحيوان مالا يخطر على بال أحد..

ففهم يقررون: إن نفقة الحيوان واجبة على المالك. فإن امتنع أجبر على بيعه أو الانفاق عليه..

بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا:

إذا جاءت قطة عبياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه لأنها لا تستطيع النهاب إلى مكان آخر..

وقالوا أيضًا:

إن لكل حيوان طاقة خاصة فلا ينبغي أن يحمل حيوان أكثر من طاقته.. وحددوا لكل نوع من أنواع الدواب أقصى ما يمكن أن

يتحمله.

وأكثـر من هـذا: فـيـنـ أغـنـيـاءـ الـسـلـمـينـ كـانـواـ يـرـقـفـونـ بـعـضـ أـمـالـكـهـمـ لـرـعـاـيـةـ الـحـيـوـانـاتـ الـمـسـنـةـ وـالـمـرـبـضـةـ،ـ إـطـعـامـ الـكـلـابـ وـالـقطـطـ الـضـالـةـ..

وـفـىـ تـارـيـخـناـ نـقـرـأـ قـصـةـ أـمـامـ اـسـمـهـ (ـأـبـوـ اـسـحـاقـ الشـبـراـزـىـ)ـ هـذـاـ الـإـمـامـ كـانـ يـمـشـىـ فـىـ طـرـيقـ مـعـ بـعـضـ أـصـحـابـهـ.ـ فـتـعـرـضـ لـهـمـ كـلـبـ كـانـ يـمـشـىـ فـىـ الطـرـيقـ،ـ فـحاـوـلـ بـعـضـ أـصـحـابـ هـذـاـ الـإـمـامـ زـجـ هـذـاـ الـكـلـبـ وـارـغـامـهـ عـلـىـ الفـرـارـ وـالـهـرـبـ..

فـصـاحـ الـإـمـامـ فـيـهـمـ قـاتـلـاـ:

اـتـرـكـواـ الـكـلـبـ وـشـائـنـ..ـ أـمـاـ عـلـمـتـمـ أـنـ الطـرـيقـ مـشـتـرـكـ بـيـتـاـ

وـبـيـتـهـ..

\*\*\*

إـنـ لـلـسـيـحـيـنـ وـالـيـهـودـ -ـ فـىـ الـإـسـلـامـ -ـ مـعـاـمـلـةـ خـاصـةـ.ـ وـمـكـانـهـ خـاصـةـ..ـ كـمـاـ يـعـرـفـونـ فـىـ الـإـسـلـامـ بـاسـمـ "ـأـهـلـ الـذـمـةـ"ـ فـهـمـ "ـأـهـلـ ذـمـةـ"ـ وـالـذـمـةـ مـعـنـاهـ الـعـهـدـ،ـ وـالـضـمـانـ،ـ وـالـآـمـانـ،ـ وـاـغاـ سـمـواـ بـذـلـكـ لـأـنـ لـهـمـ عـهـدـ اللـهـ.ـ وـعـهـدـ رـسـوـلـهـ،ـ وـعـهـدـ جـمـاعـةـ الـسـلـمـينـ أـنـ يـعـيشـواـ فـىـ حـمـاـيـةـ الـإـسـلـامـ آـمـنـيـنـ مـطـمـتـيـنـ،ـ فـلـهـمـ مـاـ لـلـسـلـمـيـنـ مـنـ حـقـوقـ وـعـلـيـهـمـ مـاـ عـلـىـ الـسـلـمـيـنـ مـنـ وـاجـبـاتـ.

بعض  
القطط

لهم  
م زجر

بیننا

مكانه  
ـ (أهل  
ـ بذلك

عيشوا  
حقوق

## أول هذه الحقوق هي (الحماية) (١) .

وهذه الحماية تشمل حمايتهم من كل عدوان خارجي .  
ومن كل ظلم داخلي (٢) .

أما الحماية من الاعتداء الخارجي ، فيجب لهم ما يجب  
لل المسلمين .

وعلى الإمام أو ولی الأمر في المسلمين يأله من سلطة شرعية ،  
وما لديه من قوة عسكرية . أن يوفر لهم هذه الحماية .  
وكما يقول بعض الفقهاء :

"يجب على الإمام حفظ أهل النسمة ومنع من يؤذيهم ، وفك  
أسرهم ، ودفع من قصدهم بأذى إن لم يكونوا يدار حرب ، بل كانوا  
يدارنا ، ولو كانوا منفردين بيبلد)" .

وعلل ذلك بأنهم : "جرت عليهم أحكام الإسلام وتأيد عقدهم ،  
فلزمه ذلك كما يلزم للMuslimين" (٣) ..

وبناءً على ذلك القرافي المالكي في كتابه (الفرق) قوله الإمام

(١) انظر في هذا الموضوع ، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي - د / يوسف القرضاوي  
ص ٩ وما يليها - الناشر - مكتبة وحيه - القاهرة .

(٢) انظر كتابنا "لماذا يخالفون الإسلام" صنعة ٤٤ وما يليها .

(٣) مطالب أولى النهى - جزء ٢ صنعة ٦٠٢ و ٦٠٣ .

الظاهري ابن حزم في كتابه (مراتب الاجماع) :  
 "إن من كان في النمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقتضونه  
 وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح وقوت دون ذلك،  
 صوننا ثُلُث هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله (صلى الله عليه  
 وسلم) فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد النمة(١) .. وحکى في  
 ذلك اجماع الأمة... وعلق على ذلك القرافي بقوله:  
 (عقد يؤدي إلى اتلاف النفوس والأموال صوناً لمتضاه عن  
 الضياع - انه لعظيم)(٢). كثرة شمل  
 ومن المواقف التطبيقية لهذا المبدأ الإسلامي، موقف شيخ  
 الإسلام ابن تيمية حينما تغلب التتار على الشام، وذهب الشيخ  
 ليكلم "قائد التتر" في اطلاق الأسرى فسمح القائد التترى للشيخ  
 باطلاق أسرى المسلمين، وأبى أن يسمح له باطلاق أهل النمة فما  
 كان من شيخ الإسلام إلا أن قال:  
 لا نرضى إلا بافتتاح جميع الأسرى من اليهود والنصارى فهم  
 أهل ذمتنا، ولا ندع أسبرا، لا من أهل النمة، ولا من أهل الله.

(١) الفرق - جزء ٣ صفحة ١٤ : ١٥ - الفرق الناتج عشر والمائة.(٢) نفس  
 لمصدر السابق. وانظر في هذا ايضاً: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي - د.  
 يوسف القرضاوي وأهل النمة. د/ قاسم عبد قاسم.

فلمَّا رأى اصراره، وتشدده، أطلقهم له.

### أما العماد من الظلم الداخلي :

فهو أمر يوجه الإسلام ويشدد في وجوبه، ويحث المسلمين أن يعنوا أيديهم أو أست THEM إلى أهل الذمة بأذى أو عدوان فالله تعالى لا يحب الظالمين ولا يهدى لهم، بل يعاجلهم بعذابه في الدنيا أو ينذر لهم العقاب مضاعفا في الآخرة، وقد تكاثرت الآيات والأحاديث الواردة في تحريم الظلم وتقببيحه وبيان آثاره الوخيمة في الدنيا والآخرة، وجاءت أحاديث خاصة تحذر من ظلم غير المسلمين من أهل المهد والذمة.

يقول الرسول . صلى الله عليه وسلم :

"(من ظلم معاهاً أو انتقصه حتى أو كلفه فرق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنما حججه يوم القيمة)" (١).

وقال (صلى الله عليه وسلم) :

"(من أذى ذمياً فأنما خصمه، ومن كنت خصمه خصمه يوم

القيمة)" (٢).

وقال (صلى الله عليه وسلم) أيضاً :

(١) رواه أبو داود والبيهقي، انظر (السنن الكبرى) جزء ٥ ص ٣٠٥.

(٢) رواه الخطيب بامتداد حسن.

"(من آذى ذميا فقد اذانى، ومن آذانى فقد اذى الله)"<sup>(١)</sup>.  
ولهذا كله اشتدت عناية المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين  
دفع الظلم عن أهل الذمة وكف الآذى عنهم، والتحقيق في كل  
شكوى تأتى من قبلهم.

وكان عمر (رضي الله عنه) يسأل الوادين عليه من الأقاليم  
عن حال أهل الذمة، خشية أن يكون أحد من المسلمين قد أضى  
إليهم بأذى، فيقولون له:  
"(مانعلم إلا وفنا)"<sup>(٢)</sup> - أي : بمقتضى العهد والعقد الذي  
يبنهم وبين المسلمين وهذا يقتضى أن كلا من الطرفين وفي با  
عليه.

وعلى بن أبي طالب (رضي الله عنه) - يقول:  
"(إنما يذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم  
كدمائنا)"<sup>(٣)</sup>.

وفيها المسلمون من كافة المذاهب الاجتهدية صرحاً وأكداً بأن  
على المسلمين دفع الظلم عن أهل الذمة والمحافظة عليهم.

---

(١) رواه الطبراني في الأrostط بastaad حسن.

(٢) تاريخ الطبرى - جزء ٤ صنحة ٢١٨

(٣) المقنى - جزء ٨ صنحة ٤٤٥ - البذائع - جزء ٧ صنحة ١١١ تتلا عن أحكام  
الذميين والمستأمنين صنحة ٨٩

لأن المسلمين حين أعطوههم الذمة قد التزموا دفع الظلم عنهم،  
وهم صاروا به من أهل دار الإسلام بل صرخ بعضهم بأن ظلم النمس  
أشد من ظلم المسلم أثما !!

### ثانياً : حفظ النفس :

دم النمس كدم المسلم، فبأن قتل مسلم أحداً من أهل الذمة،  
اقتصر منه كما لو قتل مسلماً ..

وقد روى أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة فرفع  
ذلك إلى رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال:  
"(أَنَا أَحَقُّ مَنْ وَفَى بِذَمَّتِهِ)" (ثم أمر به فقتل) (٢).

وفى زمان عمر (رضي الله عنه) قتل رجل من بنى يكر بن وائل  
رجلاً من أهل الذمة بالخبرة فأمر عمر (رضي الله عنه) بتسليم  
الرجل إلى أولياء المقتول، فسلم إلَيْهِمْ فقتلوه (٣).

وفى خلاقة على (كرم الله وجهه) أخذ رجل من المسلمين بتقتل

(١) ذكر ذلك ابن عابدين في حاشيته وهو مبني على أن النمس في دار الإسلام أضعف  
شركة عادة، وظلم القرى للضعف أعظم في الآثم، أنظر في هذا الموضوع - غير المسلمين  
في المجتمع الإسلامي - د / يبرست القرضاوي - ص ٩٠ ..

(٢) البناية في شرح الهداية - جزء ٨ ص ٢٥٦ - وقد روى الدارقطني هذا الحديث عن  
أبي عمر (رضي الله عنه)، وقال : أنا أكرم من وفى بذمته.

(٣) البرهان في شرح مراقب الرحمن - جزء ٣ ص ٢٧٨ .

ذمي، وقامت المحجة عليه فأمر بالقصاص، فجاءه أخي المقتول وقال:  
"(قد تركت القود. ولكنك لم يرض بذلك، وقال: لعلهم فزعنوك  
أو هددوك، فقال: لا، بل قد أخذت الدية وأظن أخي لا يعود إلى  
يقتل هذا الرجل. فأطلق "على" سراح القاتل وقال:  
"(من كان له ذمتنا فدمه كدمتنا وديته كديتها)"<sup>(١)</sup>.  
وفى رواية أخرى أن علياً (رضي الله عنه) قال:  
"(إنما قبلا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم  
كدمائنا)".

ومن هذا استنبط الفقهاء، أنه إن قتل مسلم أحداً من أهل السنة خطأ، كانت دينه كدية قتله أحداً من المسلمين خطأ.. (٢).

七

إن القانون في الدولة الإسلامية لا يفرق بين مسلم وغير مسلم.

<sup>١١</sup>) السیحان = جزء ٢ - صفحه ١٨٢.

٤١) الديار المختار . جزء ٣ . صفحة ٢٠٣

وكتاب (المراج) - صنحة ٤٠٨ - ٥٠٩ ، الميسطر - جزء ٩ - صنحة ٥٧ - ٥٨ وبرى الإمام مالك "رحمه الله" أن الناس مستثنى من حد الزنا كحد الحسر، ويستطيع حكمه هنا من قضايا عمر "رضي الله عنه" بان الناس أن زنى يترک أمره إلى أهل سنته - أي يصل بقائمه آخره الشخصية. انظر في ذلك: حقوق أهل السنة في الدولة الإسلامية لمرانا المردوسي.

وقد حدث في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن سرق رجل مسلم درعاً من بيت رجل مسلم، ثم ذهب السارق بهذه الدرع وأخفاها في بيت رجل (يهودي)، وعندما اكتشفت الجريمة حاول المسلم السارق التخلص من التهمة والصاقها باليهودي الذي لم يكن يعرف شيئاً عن السرقة... ثم شهد أقارب السارق معه ضد اليهودي

ورفع الأمر إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ..

إن التهمة ثابتة على اليهودي.. والشهود كلهم ضده.. وأى قاض لا بد أن يصدر حكمه بالادانة، وتنفيذ العقوبة.

ولكن الروح ينزل من السماء.. فبنفي عن اليهودي تهمة السرقة، ويدين السارق والشهود بالخيانة.. ويسجل القرآن الكريم هذه الواقعية لتبقى دستوراً خالداً إلى يوم القيمة..

"(وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أُوْلَئِنَّا ثُمَّ يَرْمِ بِهَا فَقَدْ احْتَمَلَ بِهَا نَاسًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يَضْلُّوكُمْ وَمَا يَضْلُّنَّ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضْرُونَكُمْ مِّنْ شَيْءٍ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِمْتُمُ مَا لَمْ تَعْلَمُوا كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ عَظِيمًا)" (١).

أكثر من هذا..

---

(١) سورة النساء آية ١١٢ و ١١٣.

فقد حدث أيام عمر بن الخطاب الخليفة الثاني من خلفاء النبي  
(صلى الله عليه وسلم) ..

إن - على بن أبي طالب - ابن عم النبي، وزوج ابنته.. ووالد  
أحب الناس إليه، الحسن والحسين، حدث أن تنازع على، مع رجل  
يهودي حتى بلغ الأمر عمر بن الخطاب، فلما مثلا أمامه في مجلس  
القضاء..

قال عمر لعلى: قف يا أبا الحسن..  
فظهر الغضب في وجه - على - ؟  
فقال عمر : أكرهت أن نسوى بينك وبين خصمك (اليهودي) في  
القضاء؟

قال على: لا.. ولكنني كرهت منك أن عظمتني في الخطاب  
قتلت: يا أبا الحسن.. ولم تصنع مع خصمك اليهودي ما صنعته  
معي من التعظيم..!!

ومن أشهر وصايا عمر في العدل تلك الرسالة التي بعث بها إلى  
أبي موسى الأشعري - رئيس القضاء - في ذلك الوقت قوله له:  
(آن - سو - بين الناس في وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا  
يطمع شريف في حينك، ولا يبأس ضعيف من عدلك...) ..  
هكذا يطلب عمر من القاضي ألا يفرق بين المתחاربين في

النظرة.. وفي الكلمة.. وفي طريقة السؤال وهي أمور قد تبدو  
بسيئة وتابهة..

ولكن هذه الأمور التي تبدو بسيطة وتابهة تترتب عليها أحكام  
خطيرة..

### ماشا : حماية الأموال :

"..... وهذا مما اتفق عليه المسلمين، في جميع المناهض وفي  
جميع الأقطار، ومختلف العصور" ...

فقد روى أبو يوسف في (الخراج) ماجاء في عهد النبي (صل  
الله عليه وسلم) لأهل خبران..

"ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على  
أموالهم وملتهم وبعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.." .  
وفي عهد (١) عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح أن: (امن  
المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم وأكل أموالهم إلا بحلها)..  
وقد مر بنا قول "علي" (رضي الله عنه):

(إنما يذلوا الجزية لتكون دماءهم وأموالهم كأموالنا)  
وعلى هذا استقر رأى المسلمين طوال العصور..

---

(١) المراد بكلمة "عهد" هنا - الرصبة - .

فمن سرق مال ذمى قطعت يده، ومن اغتصبه عز وأعبد المال إلى صاحبه، ومن استدان من ذمى فعليه أن يقضى دينه، فان مطله وهو غنى حبه الحاكم حتى يؤدى ماعليه.  
وبلغ من رعاية الإسلام لحرمة أموالهم ومتلكاتهم، أنه يحترم ما يعودونه، حسب دينهم مالا وأن لم يكن مالا في نظر المسلمين.  
فالخمر والخنزير لا يعتبران عند المسلمين مالا مستقراً ومن أتلف لسلم خمراً أو خنزيراً لا غرامة عليه ولا تأديب، بل هو مشاب مأجور على ذلك، ولا يجوز لل المسلم أن يتلذذ هذين الشئين لنفسه، ولا لبيعها للغير..

أما الخمر والخنزير إذا ملكها غير المسلم فانها تعتبر عنده مالا، بل من أنفس الأموال ، كما قال فتهاء الخنثية، فمن أتلفها على الذمى غرم قيمتها ..

### وابعاً : حماية الأعراض :

ويحمي الإسلام عرض الذمى وكرامته، كما يحمي عرض المسلم وكرامته، فلا يجوز لأحد أن يسبه أو يتهمه بالباطل، أو يشنع عليه بالكذب، أو يفتراه، وذكره بما يكره في نفسه أو تسبه أو خلقه أو خلقه أو غير ذلك مما يتعلق به.  
يقول الفقيه الأصولي المالكي شهاب الدين القرافي في كتاب

(الفرق) :

"إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقا علينا، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا (حمايتنا) وذمة الله تعالى، وذمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ودين الاسلام فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة فقد ضيغ ذمة الله، وذمة رسوله (صلى الله عليه وسلم) وذمة دين الاسلام" (١).

وفي "الدر المختار" من كتب الختنية"

(يجب كف الأذى عن الذمى وتحرم غيبته كالمسلم)  
ويعلق العلامة "ابن عابدين" على ذلك بقوله:  
"لأنه بعقد الذمة وجب له مالنا فإذا حرمت غيبة المسلم حرمت  
غيبة الذمى بل قالوا إن ظلم الذمى أشد" (٢).

#### **خامساً : التأمين ضد العجز والشيخوخة والفقر :**

وأكثر من ذلك أن الاسلام ضمن لغير المسلمين في ظل دولته،  
كفاله المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولونهم، لأنهم رعية للدولة المسلمة  
وهي مسؤولة عن كل رعاياها، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(١) الفرق - جزء ٣ - صفحه ١٤ - الفرق التاسع عشر والمائة.

(٢) الدر المختار وحاشية ابن عابدين . جزء ٣ صفحه ٣٤٤ : ٣٤٦ - طبعة استانبول.

(كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته) <sup>(١)</sup>

وهذا ما مضت به سنة الراشدين ومن بعدهم .. ففى عقد النمة  
الذى كتبه (خالد بن الوليد) لأهل الخبرة بالعراق وكانوا من  
النصارى:

"وجعلت لهم، أيا شيخ ضعف عن العمل، أو اصابة آفة من  
الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحته  
جزرته وغسل من بيت مال المسلمين هو وعياله) <sup>(٢)</sup>.  
وكان هذا فى عهد أبي بكر الصديق، وبحضور عدد كبير من  
الصحاباة وقد كتب "خالد" به إلى "الصديق" ولم ينكر عليه أحد،  
ومثل هذا يعد اجماعا ..

ورأى عمر بن الخطاب شيخا يهوديا يسأل الناس، فسأله عن  
ذلك فعرف أن الشيخوخة وال الحاجة أجلاته إلى ذلك، فأخذته وذهب به  
إلى خازن مال المسلمين وأمره أن يفرض له ولأمثاله من بيت المال  
ما يكفيهم ويصلح شأنهم.  
وقال فى ذلك:

"(ما أتصفناه إذا أخذنا منه الجزية شابا، ثم تخذه عند

(١) متلق عليه من حديث ابن عمر ..

(٢) رواه ابن بيرسون "الخرجاج" ...

(الهرم) ١١

وبهذا تقرر الضمان الاجتماعي في الإسلام، باعتباره (مبدأ عاماً) يشمل أبناء المجتمع جميعاً، مسلمين وغير مسلمين. ولا يجوز أن يبقى في المجتمع المسلم إنسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى أو العلاج فإن دفع الضرر عنه واجب ديني، مسلماً كان أو ذمياً.

وذكر الإمام النووي في (المنهاج) أن من فروض الكفاية: دفع ضرر المسلمين ككسوة عار، أو اطعام جائع اذا لم يندفع بزكاة وبيت مال.

ووضع العلامة شمس الدين الرملاني الشافعى في (نهاية المحتاج إلى شرح منهاج) : " إن أهل الذمة كالMuslimين في ذلك فدفع الضرر عنهم واجب ".

ثم بحث الشيخ الرملاني "رحمه الله" في تحديد معنى دفع الضرر فقال:

(وهل المراد بدفع الضرر ما يسد الرمق أم الكفاية؟ قولان، أصحابنا ثانيهما. فيجب في الكسوة ما يسد كل البدن على حسب ما يليق بالحال من شتاء وصيف، ويتحقق بالطعام والكسوة ما في

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٦.

معناها كأجر طبيب، وثمن دواء وخدم منقطع، كما هو واضح.  
قال: وما يندفع به ضرر المسلمين والذين فك أسرهم (١).

### سادساً : حرية التدين :

ويحتمي الإسلام فيما يحبه من حقوق أهل السنة - حق الحرية.  
وأول هذه الحريات: حرية الاعتقاد والتعبد: فلكل ذي دين دينه  
ومذهب، لا يجبر على تركه إلى غيره، ولا يضطر عليه أى ضغط  
ليتحول منه إلى الإسلام. وأساس هذا الحق قوله تعالى:  
"(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (٢).  
وقوله سبحانه:

"(أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)" (٣).  
قال "ابن كثير" في تفسير الآية الأولى: (أى لاتكرهوا أحدا  
على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلى دلائله  
ويراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه)..  
وسبب نزول الآية - كما ذكر المفسرون - يبين لنا جانبها من إعجاز  
هذا الدين، فقد رروا عن ابن عباس قال:

(١) نهاية المحتاج إلى شرح الشهاج - للرملي - جزء ٨ من ٤٦ كتاب السيرة.

(٢) سيرة البقرة آية ٢٥٦.

(٣) سورة يورس آية ٩٩.

كانت المرأة تكون مقلة - قليلة التسلل - فتجعل على نفسها ان  
عاش لها ولد أن تهوده ( كان يفعل ذلك نساء يشرب في الجاهلية )  
فلما أجلت بنو النصیر كانوا فيهم من أبناء الأنصار من تهود فقال  
آباوه :

لأندعاً أبنانا (يعنون: لأندعهم يعتنقون اليهودية)  
فأنزل الله عز وجل هذه الآية :  
( لا إكراه في الدين ) ( ١١ ) .

فرغم أن محاولات الإكراه كانت من آباء يريدون حماية أبنائهم  
من التبعية لأعدائهم المحاربين الذين يخالقونهم في دينهم وقوميتهم  
ورغم الظروف الخاصة التي دخل بها الأبناء دين اليهودية وهم  
صفار، ورغم ما كان يسرد العالم كله حينذاك من موجات  
التعصب والاضطهاد للمخالفين في المذهب، فضلاً عن الدين، كما  
كان في مذهب الدولة الرومانية التي خيرت رعاياها بين التنصر أو  
القتل، فلما تبنت المذهب " ( الملكاني ) " أقامت المذابح لكل من لا  
يدين به من المسيحيين من العياقة وغيرهم .  
لقد قتل الامبراطور ( جستنيان ) مائة ألف مسيحي قبطى -  
كما يقول " ( توماس أرنولد ) " ..

---

( سورة البقرة آية ٢٥٦ )

كان يلقى بهم في اليم وبحرون أحياه بغير ذنب،  
وقد هرب معظم الناس إلى الصحاري المقرفة فرارا من التهير  
والظلم ولم يشعروا بالأمن والسلامة إلا بعد فتح المسلمين  
لصر..!!!

\*\*\*

إن الإيمان كما يقول القرآن لا يفرض بالقوة، الإيمان أساسه إقرار  
القلب، والاعتقاد فيما يؤمن به الإنسان أنه حق.. ولم يعرف عن  
المسلمين في أوج سلطتهم وقتهم أنهم أرغموا أحدا على اعتناق  
الإسلام من القبط..

بل إن أحد الحكماء المسلمين في مصر رفض دخول الأقباط في  
الإسلام حتى لا تنخفض الأموال التي كان يحصلها منهم كجزية..  
وحيث سمع الخليفة عمر بن عبدالعزيز بذلك كتب إليه مهددا بأن  
يترك الحرية للناس فيما يختارونه من عقيدة، لأن محمدا (صلى  
الله عليه وسلم) أرسلاه الله إلى الناس للهداية لا لتحقيل الجبائية  
والجزية..

يقول المؤرخ الغربي (آدم مترز)<sup>(١)</sup> في كتابه عن (المضاربة

---

(١) المضاربة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - آدم مترز - ترجمة الدكتور

أبرهاردة جزء ١ ص ٨٥: ٨٧.

الاسلامية في القرن الرابع الهجري) :

"ولما كان الشرع الاسلامي خاصاً بالمسلمين فقد خلت الدولة  
الاسلامية بين أهل الملل الأخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم والذي  
تعلمته من أمر هذه المحاكم أنها كانت محاكم كتبية، وكان رؤساء  
المحاكم والروحيون يقومون فيها مقام كبار القضاة أيضاً.

وقد كثروا كثيراً من كتب القانون، ولم تقتصر أحکامهم على  
مسائل الزواج بل كانت تشمل - إلى جانب ذلك - مسائل الميراث -  
وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به.  
(على أنه كان يجوز للذمى أن يلتجأ إلى المحاكم الإسلامية ولم  
تكن الكنائس بطبعها الحال تنظر إلى ذلك بعين الرضا.

ولذلك ألف الجائليق (تيمونيون) حوالي عام ٨٠٠هـ - ٢٠٠م -  
ـ كتاباً في الأحكام القضائية المسيحية " (لكي يقطع كل عنذر  
يتعلل به النصارى الذين يلتجأون إلى المحاكم غير النصرانية بدعوى  
نقصان القرآن المسيحية) ..

إلى أن يقول:

"(وفي عام ١٢٠هـ - ٧٣٨م - ولی قضاة مصر خیر بن نعیم -  
فكان يقضى في المسجد بين المسلمين ثم يجلس على باب المسجد  
بعد العصر على المعارض فيقضى بين النصارى ..

ثم خصص القضاة للنصارى يوما يحضرون فيه إلى منازل  
القضاة ليحكموا بينهم، حتى جاء القاضى محمد بن مسروق الذى  
ولى قضاء مصر عام ١٧٧هـ فكان أول من دخل النصارى فى  
المسجد ليحكم بينهم.

ثم قال (متزا):

"أما فى الأندلس، فعندنا أكثر من مصدر جدير بالثقة أن  
النصارى كانوا يفصلون فى خصوماتهم بأنفسهم، وأنهم لم يكونوا  
يلجأون للقاضى إلا فى مسائل القتل" ..

وبهذا نرى أن الإسلام لم يجبرهم على ترك أمر يرونوه فى دينهم  
واجبًا ولا على فعل أمر يرونوه عندهم حراما، ولا على اعتناق أمر  
دين لا يرون اعتقاده. بمحض اختيارهم.

\*\*\*

أما حرية رجال الدين فى طقوسهم: وإبقاء سلطتهم على  
رعيتهم دون تدخل الدولة فى ذلك، فقد شعر المحبيون من سكان  
البلاد بالحرية فى ذلك بالملل يشعروا ببعضه فى حكم الروم، ولعل  
أحداً من لا ينسى موقف السلطان محمد الفاتح حين استولى على  
القسطنطينية مقر البطريركية الارشوذكسيّة فى الشرق كله، فقد  
أعلن يومئذ تأمين سكانها - وكلهم نصارى - على أموالهم  
وأرواحهم وعقائدهم وكنيسهم وصلبانهم وأعفاهم من الجنديّة، ومنح

رؤساهem سلطة التشريع والفصل في الخصومات التي تقع بين  
 رعاياهم، دون أن تتدخل الدولة فيها افرأى فى ذلك سكان  
 القسطنطينية فرقاً كثيراً بين ما كانوا يعاملون به فى عهد  
 البيزنطيين وبين معاملة السلطان محمد الفاتح لهم، إذ كان  
 البيزنطيون يتدخلون في الخلافات المذهبية ويفضلون أتباع  
 كنيستهم على أتباع الكنائس الأخرى، فارتاحوا إلى الحكم الجديد،  
 وانشرحت نفوسهم لهذا التسامح الدينى الذى لم يعهدوا له مثيلاً  
 من أبناء ملتهم الحاكمين من قبل، حتى كان بطريرك الروم بما أعطى  
 من السلطان أشيهى بحكومة وسط حكومة، وظل هو وجماعته  
 متمتعين بخير حال نحو خمسين سنة وهم مستقلون بالفعل ولا  
 يتقادهم استقلالهم جنداً، ولا ملاً، ومن المؤسف أن هذا التسامح  
 الدينى الذى لا مثيل له فى التاريخ كان مبدأ الامتيازات الاجنبية  
 التى استغلها الغربيون فى أواخر القرن الماضى ومطلع القرن الحاضر  
 استغلاً سبباً للقضاء على مظاهر السيادة الوطنية فى  
 البلاد ..(١)

## **ومن مظاهر التسامح الدينى في حضارتنا:**

**الاشتراك بالأعياد الدينية وباحتاجها وزيتها، فمنذ العهد**

(١) انظر في ذلك كتاب (من روائع حضارتنا) - د/ مصطفى السباعي - ص ٨٠  
 وما يليها - وكتاب (الدورة الى الاسلام) - توماس ارنولد ..

الأسمى كانت للنصارى احتفالاتهم العامة فى الشوارع تقدمها الصليبان ورجال الدين بألبساتهم الكهنوتية، وقد دخل البطريرك ميخائيل مدينة الإسكندرية فى احتفال رائع وبين يديه الشموع والصلبان والأناجيل والكهنة يصيرون:

"(قد أرسل الرب إلينا الراعى المأمون" الذى هو مرقض الجديد" - وكان ذلك فى عهد هشام بن عبد الملك..

وأجرت العادة أيام الرشيد بأن يخرج النصارى فى موكب كبير وبين أيديهم الصليب وكان ذلك فى يوم عيد الفصح..

ويذكر لنا "المقدسى" فى "أحسن التقاسيم": ( إن الأسواق فى شيراز " كانت تزين فى أعياد النصارى، وأن المصريين كانوا يحتفلون بعيد زيادة النيل فى وقت عبد الصليب، ويذكر لنا "المقريزى" فى "خططه": أن الناس - فى عهد الأختيدين (١) - كانوا يحتفلون بعيد الغطاس احتفالاً كثيراً، ففى عام ٣٣٠ هـ جرى الاحتفال بعيد الغطاس احتفالاً رائعاً، وجلس محمد بن طفع الاختيدى بقصره المختار فى جزيرة النيل، وقد اسرج حوله ألف قنديل، وبجراه الشعب فأوقد المشاعل والقناديل والشموع.

---

(١) الدعوة إلى الإسلام - توماس أرنولد - الطبعة العربية.

يقول المستر (داربر) الأمريكي المشهور:

"إن المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن إليهم على مجرد الاحترام، بل فرضوا عليهم كثيرة من الاعمال الجسام ورقوهم في مناصب الدولة، حتى أن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت أمره (ابن ماسويه)، ولم يكن ينظر إلا إلى مكانته من العلم والمعرفة.

ويقول المؤرخ الشهير المعاصر (ولز) في صد بحثه عن تعاليم الإسلام:

"إنها استطاعت في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفتح في الناس روح الكرم والسمحة كما أنها انسانية السمة، يمكنة التنفيذ، فقد أقامت مجتمعاً إنسانياً لا تعصب فيه بسبب التفرقة في الدين".

ويقول السير (مارك سايس) في وصف الإمبراطورية الإسلامية في عهد الرشيد:

"(وكان المسيحيون والوثنيون واليهود والمسلمون على السواء، يعملون في خدمة الحكومة)".

ويقول (ليفي بروتسفال) في كتابه "أسبانيا الإسلامية في

القرن العاشر:

“(إن كاتب النعم كثيراً ما كان نصرانياً أو يهودياً، - أى من اليهود والنصارى - وقد كانوا يتصرفون للدولة فى الأعمال الإدارية والخربية، ومن اليهود من كانوا ينوبون عن الخليفة بالسفارات إلى دول أوروبا الغربية).”

ويقول (ريشا) فى تاريخ غزوات العرب فى فرنسا وسويسرا وابطاليا وجزائر البحر المتوسط:

“(إن المسلمين فى مدن الاندلس كانوا يعاملون النصارى بالحسنى كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير)..”

محمد سعيد العريبي

## إِنَّا نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ نُؤْمِنُ وَنَعْتَقِدُ (١) أَنَّ الْأَدِيَانَ السَّماوِيَّةَ كُلُّهَا تَسْتَقِي مِنْ مَعْنَى وَاحِدٌ ..

"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا، والذى أوحينا إليك،  
وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا  
فيه (٢)."

ونؤمن ونعتقد ، أن الأنبياء ، آخرة لا تفاضل بينهم من حيث  
الرسالة وأن على المسلمين أن يؤمنوا بهم جميعاً إيماناً يحيط بهم ..  
"(قولوا آمنا بالله، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم  
واسعيل واسحاق ويعقوب ، والاسباط ، وما أتى موسى وعيسى ،  
وما أتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له  
مسلمون)" (٣)

---

(١) رسالة إلى البابا - للباحث دار المختار الاسلامي - القاهرة

(٢) الشربى - الآية ١٣

(٣) البقرة - الآية ١٣٦

ونحن نؤمن ونعتقد:

"إن الإسلام دين ذو شعب أربع هي:  
العقيدة    والعبادة    والأخلاق    والشريعة).

فاما العقيدة والعبادة فلا يفرضهما الإسلام على أحد:

"(لا إكراه في الدين) (١)"

"(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (٢)"

وقد نزلت الآية الأولى في شأن رجال من الأنصار لهم أبناً على  
الديانة اليهودية أو النصرانية، فأرادوا أن يجبروهم على تغيير  
دينهم إلى الإسلام.. فنزلت الآية قاطعة مانعة - كما سبق أن قلنا -.

"(لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي)" (٣).

ومنذ عهد الخلق، الراشدين واليهود والنصارى يؤدون عباداتهم  
ويقبسمون شعائرهم، في حرية وأمان ، كما هو منصوص عليه في  
العهود التي كتبت في عهد أبي بكر وعمر، مثل عهد الصلح بين  
الفاروق وأهل إيلاء (القدس).

ومن شدة حساسية الإسلام أنه لم يفرض الزكاة ولا الجهاد على

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٢) سورة يس آية ٩٩ ...

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٦

غير المسلمين لما لهما من صبغة دينية باعتبارهما من عبادات الإسلام الكبرى - مع أن الزكاة ضريبة مالية والجهاد خدمة عسكرية.

### **أُمَّا الْأَخْلَاقُ فَهِيٌ — فِي أَصْوَلِهَا :**

لاتختلف بين الأديان السماوية بعضها وبعض ، فجميعها تدعو إلى العدل والرحمة والاحسان والمحبة والعفاف والشجاعة والسخاء ، والتعاون على الخير ..

فالزنا - مثلا - محرم في هذه الديانات كلها ..

وال المسيح يقول: " (من نظر بعينه فقد زنا) "

والرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول:

" (العيتان تزنيان وزناهما النظر، والبدان تزنيان وزناهما البطش....). .. الخ.. والميسر، وأكل مال اليتيم، والقصوة على الضففاء وغير ذلك من الراذئل تحرمها كل الأديان.

بقيت الشريعة التي تنظم علاقتنا بعضهم ببعض

- علاقة الفرد بأمته، وعلاقته بالمجتمع، وعلاقته بالدولة، وعلاقة الدولة بالرعية وبالدولة الأخرى.

فأما العلاقة الأسرية فيما يتعلق بالزواج والطلاق ونحو ذلك فهم مخبرون بين الاختكام إلى دينهم والاختكام إلى شرعنـا ولا يجبرون

على شرع الإسلام باعتبار هذه (الأحوال الشخصية) كما تسمى مما له علاقة مباشرة بالدين، وقد أمرنا بتركهم وما يدينون (لا إكراه في الدين) ..

فمن اختار منهم نظام الإسلام في المواريث - مثلا - كما يحدث في بعض البلاد العربية فله ذلك، ومن لم يرد فهو وما يختار.. وأما ما عدا ذلك من التشريعات المدنية والتجارية والإدارية ونحوها فشأنهم في ذلك كشأنهم في آية تشريعات أخرى تقتبس من الغرب أو الشرق وترتديها الأغلبية.

### **وفي العقوبات — قرار الفقهاء —**

إن الحدود لا تقام عليهم إلا فيما يعتقدون بحرمة كالسرقة والزنى، لا فيما يعتقدون حله كشرب الخمر.

يقول (برينفولت) في كتابه "بناء الإنسانية" (١) :

" إن الحكومة الإسلامية، لم تكن أبداً متعصفة ولا متعصبة فلا أظلام، ولا قمع لحرية الفكر، ولا محاربة لموهاب العلم ، وثورة المعرفة والبحث وإن ساحة الإسلام مع أبناء الشعوب المغلوبة في الحرب، وعدلهم ونزاهتهم، ومثالبيتهم يكشف الصورة العكسيّة لطفيان الرومان وتعصبهم ..

---

(١) بناء الإنسانية (MAKING OF HUMANITY)

غير أنه مما يشير التعجب والآلم - كما يقول الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي - شيخ الأزهر الأسبق - في رسالته إلى المؤتمر العالمي (للاخوة الإنسانية) الذي انعقد في "لندن" عام ١٣٥٥ هجرية - الموافق ١٩٣٦ ميلادية - وكانت أهداف هذا المؤتمر كأهداف هذا المؤتمر ...

**لقد قال الأستاذ الأكبر في رسالته إلى هذا المؤتمر:**  
"إنه لما يشير التعجب والآلم إن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويعدون عدتهم لثاتلة بعضهم بعضاً مقاتلة أسرفوا فيها، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك، وسلكوا طرقاً في التناحر مخالفلة لأبسط قواعد النطق، مما جعلهم سخرية أمام العلماء وأمام الفلاسفة، وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج، فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذي هو موضع الشرف، وموطن العزة والكرامة، واستعملوا طرق الاكراه والاغراء، بالمال وغيره من الوسائل، وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول وتسوا أن الإيمان لا يحل القلب بالاكراه، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل، وتسوا أن العدو جاد في ازوالهم من مكانتهم اللاقى بهم، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية، وتطغى على ما يبقى في النفوس من هيبة واحترام للنظم الإلهية،

وكان عليهم بدل هنا كله أن يتعاونوا على درء الخطر وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة وهذه الإباحية التي يتن منها العقلاه من البشر..

\*\*\*

والذى قاله الاستاذ الأكبر فى مؤتمر "لندن" - حقيقة.. ولكنها حقيقة مرة ومؤلمة فلا تزال.. بذور العداوة والكراهية كامنة.. ولا تزال الحرب ضد الإسلام والمسلمين معلنة فى كل مكان من الدنيا.. ولن يكون التسامح حقيقة واقعة ما لم تخف وقفه واحدة لاقتلاع جذور البغضاء والكراهية.

فى عام ١٩٧٨م تلقى الامام الأكبر الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر رسالة من الدكتور (ميغيل إيبالشا) سكرتير عام "جمعية الصدقة الإسلامية المسيحية فى أسبانيا" يقول فيها: (١) يسر جمعية الصدقة الإسلامية - المسيحية فى مدريد أن توجه إلى فضيلتكم لشرف باخياركم بما استقر عليه الرأى من انعقاد مؤتمر "قرطبة العالمي الإسلامي - المسيحي الثالث خلال عام ١٩٧٩م "إن شاء الله" وقد رأت إدارة الجمعية اختيار موضوع:

---

(١) وقد عند قبيل ذلك حوار بين القاتيكان والأزهر لتحقق هنا التفاهم والتقارب لم يسفر عن تقدم حقيقي واضح - انظر في هذا : "رسالة الى البابا بربس السادس" - لكتاب البحث.

( محمد وعيسي ملهمان للقيم الاجتماعية المعاصرة ) ليكون محور اللقاء الاسلامي - المسيحي الم قبل والمقصود أن يشرح المسلمين كيف يعبر النبي محمد "صلى الله عليه وسلم" عن هذه القيم المعاصرة بالنسبة لمسلمي اليوم، سواء برسالته وعقيداته ودعوته أو بشخصيته وسلوكه ونفسيته المشالية، بينما يشرح المسيحيون كيف يعبر عيسى "عليه السلام" عن القيم الاجتماعية نفسها عند مسيحي اليوم ..

ورغبتنا أن يدرس هذا الموضوع مجموعة من يعيشون في مجتمع متكمال يعيش بالمردة والوفاق وان اختللت عقائد مواطنينه وتنوعت أديانهم.

### محور البدفع على

وسوف يتولى عملية تنظيم واعداد المؤتمر من الجانب المسيحي الكليات المتخصصة في علوم اللاهوت - نذكر منها بصفة خاصة - كلية اللاهوت بمدريد، والجامعة البابوية في روما، وبعد المرضوع - بيشة الله - مع الجانب الاسلامي الجامعات المتخصصة في بعض البلدان الإسلامية ومؤسسات إسلامية وشخصيات مسلمة، يستوى في ذلك من يعيشون داخل إسبانيا ، ومن يقيمون خارجها ..  
ونعتقد أنه من الممكن دراسة رؤوس الموضوعات التالية في نطاق الموضوع العام للملتقى وهي :

الحرية والعدالة والمساواة في مختلف مظاهرها وجوانبها المتعددة  
في هذا الدين أو ذاك، ولا يعني هنا - بطبيعة الحال - أن هذه هي  
الكلمة النهائية ، على العكس ، نحن نتوجه إليكم منذ الآن وفي  
لحظة - نشأة الفكرة آملين أن تشرعوا الموضوع بما تقررون وأن  
تفضلوا بإضافة ماتروته مفيدة ونافعا ، ولسانك في أنكم  
ستزودونا بسديد الرأي وصانبه - بإذن الله - فأتمن أذرى بهذا الحق  
منا ولكم في هذا الميدان خيرة قد لا تتوافق للكثير يحكم احتكاركم  
بالمجتمعات وجهودكم في القارات المختلفة وقد سبق أن شرفتنا  
حين تفضلتـ يايفادـ وقد مثل بلادكم في مؤتمر قرطبة الإسلامي -  
المسيحي الأول الذي عقد في عام ١٩٧٤ ..

ومما يغيبه في هذه المرحلة - مرحلة الاعداد والدراسة - هو  
النصيحة وتبادل الرأي والاستفادة بالمشورة دون الزام أو التزام  
بحضور المؤتمر، وسوف نحصل بكم في مرحلة أخرى - إن شاء الله -  
من أجل توجيه الدعوة لحضور جلسات الملتقى نفسه إذا رغبتم في  
ذلك.

وقد رد الإمام الأكبر .. على "الدكتور ميجيل - موضحا وجهة  
نظر الأزهر بالنسبة لهذا المؤتمر وغيره من المؤتمرات المشابهة - فيما  
يلى:-

أولاً: - إن الاسلام - منذ أن بدأ - أعلن تقديره واحترامه لعيسى وأمه، أما عيسى "عليه السلام" فهو وجبه في الدنيا والآخرة، وأما أمه فهى صديقة . ووجود عيسى "عليه السلام" جزء من إيمان المسلم وبراءة أمه وظهورها جزء من إيمان المسلم..  
فماذا لقى المسلمين من المسيحيين فى مقابل ذلك أنه أمر يصعب قوله...!!!

ثانياً: لابد من الاعتراف بالدين الاسلامي ورسوله حتى ينال المسلمين فى أوروبا ما يناله غيرهم من الاعتراف بأعيادهم وشعائرهم، وأنه لا يتأتى التفاهم بين أتباع رسول يحترمه المسلمين هو عيسى "عليه السلام" وأتباع رسول لا يعترف به المسيحيون وهو "محمد" صلى الله عليه وسلم)..  
ثالثاً: كان يجب على المسلمين والمسيحيين أن يعملوا معا على مقاومة الانحراف والانحلال والمادية والاخلاقيات المترفة ولكن للأسف -  
يسير المسيحيون فى طريق تنصير المسلمين بقوة: فهم يعملون ليلا نهار على أن يتصرّوا المسلمين فى كل مكان فى العالم.  
وكل الدول الغربية وأمريكا ترسل ارساليات لتنصير المسلمين  
بأسلوب مكشوف واضح أو بأسلوب خفى مستور. بل تجاوز الأمر

حدود القول والكلمة الى الحرب وإباحة دماء المسلمين.

حدث هذا في "نيجيريا" ضد القيادة الإسلامية مثلة في قتل (أحمد بلو) و(أبو يكر بالبيوا).. وحدث هذا في (أوغندا) حين قتل "ميلتون أوينتو".

أكثر من نصف مليون.. !!

وحدث هذا في "تنزانيا" أو فيما يعرف الآن باسم "تنزانيا" بعد اغتصاب جزيرة (زنجبار) يتخطيط من الكنيسة، وبقيادة القس جوليوس ناريرى ويعلم وتأمر من السلطة البريطانية.

لقد قتل من المسلمين في هذه المذبحة أكثر من خمسين ألفاً.. !! وما يحدث في جنوب السودان في أيامنا هذه.. جزء من هنا المخطط الذي يستهدف تقسيم السودان وتقسيمه أرباً..

وما أعلن في مؤتمر "كلورادو" .. بضرورة تنصير المسلمين في العالم خلال خمسين سنة ينفي صدق أية محاولة من جانبكم لتحقيق أي تفاهم وتجارب، مالم يتم دليل عملي لايقاف هذه التصرفات التي تسمى إلى المسيحيين قبل المسلمين..

رابعاً: إن المسلمين أقلية في بعض الأقطار المسيحية.. وهذه الأقلية المسلمة ينكل بها باسم المسيحيية:  
تؤخذ أرضاً منها ويتم أطفالها ويترمل نساؤها ولا تجد إلا ارتياحا

في نفوس الأغلبية المسيحية وتحب أن ينتهي التكيل بال المسلمين  
في الأقطار التي بها الأغلبية المسيحية:  
تحب أن ينتهي ذلك..

إن لم يكن باسم الدين فليكم باسم الإنسانية على الأقل..

\*\*\*

إن التسامح ليس معناه أن تدير خدك الأيسر لمن صفعك على  
خدك الأيمن..

التسامح يعني العدالة.. كما يعني الاخاء والمساواة والحرية.

\*\*\*

لقد كان الأمير "تشارلز" ولـى عهد بريطانيا "شجاعا وأمينا  
عندما وقف يقول في محاضرته الشهيرة بجامعة أكسفورد عن  
الإسلام والغرب.  
قال:

" هناك سوء فهم شديد بين العالمين الإسلامي والغربي هنا  
الواقع يدركه كل انسان هنا في بريطانيا .

إننا لا نستطيع انكار المآس التي يتعرض لها المسلمون في  
العالم وبخاصة في "البوسنة والهرسك".

وإنه من الغريب أن يستمر سوء الفهم حتى يومنا هذا بالرغم

من أن المسلمين والمسيحيين واليهود أصحاب كتاب ساوي وديانة  
سماوية، وإننا جميعاً نشارك في قيم واحدة. منها احترام المعرفة  
والعمل والرحمة والوفاء والبر بالوالدين، لقد وقفت مبهوراً أمام كلمة  
”ولا تقل لهما أفال“<sup>(١)</sup> ..

لأن مجتمعنا في أشد الحاجة إلى هنا الوفاء والبر.

إن مناهج التعليم في بلادنا تجد أبطال الحروب الصليبية بينما  
كانت هذه الحروب قتل عند المسلمين أقصى درجات التروّش  
والهمجية..

وإذا كان تاريخ الفتوحات العثمانية يمثل همجية عند الغرب،  
فبان هذه الهمجية عادت مرة أخرى إلى بلاد المسلمين على أيدي  
قوات أوروبا التي أخضعت معظم بلاد المسلمين لحكم أوروبا في  
القرن الماضي وحتى منتصف هذا القرن.

إننا ننظر إلى الإسلام من خلال بعض الفتن والاحاديث التي  
يشيرها البعض كما حدث في لبنان، ومن خلال ما يسمى بالأصولية  
الإسلامية. *كتور شلي*  
وهذا - أيها السيدات والساسة - خطأ جسيم..

لأن في بريطانيا نفسها تقع مثل هذه الأحداث. فهل تحكم

---

(١) يقصد الآية الكريمة التي جاءت في سورة الإسراء للبر بالوالدين آية رقم ٧٣.

على بريطانيا مثل هذا الحكم بسبب قلة منفعته ضد العدل والقانون.

إن الحكم على الشريعة الإسلامية بالقصرة حكم بعيد عن الانصاف فعلينا أن نفرق بين الشريعة كنظام وقانون وبين التطبيق الذي يخضع لأغراض سياسية لا تحترم القانون ولا الدستور.

إن الحكم على وضع المرأة في العالم الإسلامي من خلال بعض التصرفات المترددة لا يعني أن المرأة مظلومة أو مقهورة في مجتمعات المسلمين، لقد تعمت المرأة بحقوقها في الإسلام قبل أن تتمتع بها في سويسرا وقد أعطى الإسلام حقوقاً للمرأة لا تتمتع بها في أوروبا...!!

وفي العالم الإسلامي اليوم ثلاثة نساء رؤساء لثلاث دول هي باكستان. وتركيا. وإنجلترا. وقد جتن بانتخابات ديمقراطية سليمة.. فلأين هو الظلم الذي يقع على المرأة. كما أنه لا يجوز أن تنكر على المرأة المسلمة ارتداءها الحجاب مادام هذا من صنيع دينها وتقاليدها !!

### مختصر على

إن علينا أن نميز بين الأصولية المتطرفة وبين (الصحوة) الدينية التي تجعل المسلمين يتمسكون بقيمهم ومثلهم العليا.

إن التطرف ليس حكراً أو خاصاً بال المسلمين. فعلى الجانب الآخر

هناك تطرف مسيحي وطرف يهودي بنفس الدرجة .. !!

لقد أسدى المسلمين خدمات كبرى إلى الحضارة والثقافة .

لقد كان المسلمين وعلى مدى ثمانية قرون هم أساتذة العلوم  
والحضارة والفن والثقافة وقد كانت (قرطبة) في القرن العاشر أكثر  
المدن تحضرا في أوروبا ... !!!

وقد كان الإسلام في العصر الوسطي هو المثل الأعلى  
للتسامح فقد منح المسلمين: اليهود والمسيحيين حقوقاً متساوية  
وفتحوا لهم طريق الترقى إلى أعلى المناصب في الدولة .  
إن الإسلام يقدم لنا صورة متكاملة للتفاهم والتعايش بين جميع  
البشر .!

كما أن الإسلام في حقيقته وجوهره يقدم لنا تصورة الرائع  
للحياة والكون .!

و قبل أن أنهي محاضرتى أؤكد بقوة على القضايا التي أثرتها  
وحتى لا يصل الغرب إلى درجة الصدام بينه وبين الإسلام فابنى  
أطالب بقوة إلى منع هذا الصدام .. .

فلدى الإسلام والغرب ما يقدمه كل منهما إلى الآخر .  
فعلينا أن نعمل كي يفهم بعضنا بعضاً وأن نقضى على أشباح  
الشك والخوف .. وفي هذا كل الخير للعالم جمعياً "أ.ه.

وبعد: فاسمحوا لي أيها السادة أن أحبي ذكرى رجل عظيم  
بهذه المناسبة..

أنه (تولستوي) الذي ينعقد مؤمننا تحت شعار من شعاراته  
التي رفعها قبل مائة سنة، والذي كان في حياته تجسيداً لروح هذا  
المؤتمر الذي ينعقد فوق أرض وطنه..

لقد قال (تولستوي) في حديثه عن الإسلام ونبي الإسلام:  
لقد وضع الإسلام أساً جديدة للمساوة والعدالة لم تكن  
معروفة من قبل ومن فضائل الدين الإسلامي أنه أوصى خيراً  
بالمسيحيين واليهود ورجال دينهم، فقد أمر بحسن معاملتهم. وقد  
بلغ من حسن معاملته لهم أنه سمح لأنصاره بالتزور من أهل  
الديانات الأخرى.. ولا يخفى على أصحاب البصائر العالية مافي  
هذا التسامح العظيم.. من بر ووفاء ومحبة..

ولا رب أن النبي محمد كان من كبار الرجال المصلحين الذين  
خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخراً أنه هدى أمته  
برمتها إلى نور الحق وجعلها تجتمع للسلام وتكتف عن سفك الدماء  
وتقديم الضحايا. ويكفيه فخراً أن فتح لها طريق الرقى والتقدم  
وهذا عمل عظيم لا يفوق به إلا شخص أوتى قرة وحكمة وعلماً..  
ورجل مثله جدير بالإجلال والاحترام.. أ.هـ.

ولقد كانت آراء هذا الفيلسوف الروسي موضع تقدير الاستاذ الشيخ محمد عبده - مفتى المسلمين الأكبر - فكتب لهذا الفيلسوف يقول:-

أيها الحكيم الجليل مسيو تولستوى:

لم نحظ بمعرفة شخصك ولكننا لم نحرم التعارف من روح سطع علينا نور من أفكارك وأشرقت في آفاقنا شموس من آرائك ألقت بين ثغور العقلا ونفسك. هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التي فطر الله الناس عليها وإلى الغاية التي هدى البشر إليها، فأدركت إن الإنسان جاء هذا الوجود ليثبت بالعلم. وأن تكون ثمرته تعبر تراثاً به نفسه.. وسعياً يبقى ويرى جنسه. وشعرت بالشقاوة الذي نزل بالناس لما انحرقوا عن سنة الفطرة..

ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقاليد. ووصلت بها إلى حقبة الترحيد.. ورفعت صورتك تدعى الناس إلى ما هداك الله إليه. وتقدمت أمامهم بالعمل لتحمل نفوسهم عليه. فكما كنت بقولك هادياً للعقل كنت بعملك حاثاً للعزم والهمم. وكما كانت آراؤك ضياءً يهتدى بها الضالون كان مثلك في العمل أماماً يقتدى به المسترشدون.

بهذه الروح .. روح تولتسوی العظیم. وروح مفتی المسلمين  
الاکبر الشیخ محمد عبده فی مطلع القرن العشرين ..  
بهذه الروح .. تجعل المحبة کامنة فینا - كما قال (یوحنا) - فی  
رسالته الأولى.

لا مخافة فی المحبة. بل المحبة الكاملة تنقی المخافة ..  
فإذا قال واحد منا أنت يحب الله .. وفي الوقت نفسه يكره  
أخاه .. فهو كاذب ..  
لأنه إذا كنت لا تحب أخاك الذي تراه فكيف تزعم أنك تحب الله  
الذی لا تراه (١) ..

دكتور عبدالودود شلبي

القاهرة

محرر سبل

---

(١) الكتاب المقدس - المعهد الجديـد - رسالة يوحنا الأولى ..

رقم الایداع ٩٥/٧٩.٧  
977-220-113-5

دار النصر للطباعة والابداع  
٤ - شارع نصافعى شبرا القناطر  
الرقم البريدى - ١١٢٣٦

إن "موسكو" كمدينة.. لا أكرهها.. فروسيا وبالرغم من التصاقها بالغرب دولة نصف شرقية.. وشعبها خليط من شعوب وقوميات يربطنا بها إيمان وعقيدة .. حتى سيبيريا . التي كانت متفرقة لكل من يفكر في الحرية، أو يتغافل بكلمة يشتم منها رائحة التمرد أو الثورة.. سيبيريا هذه .. لنا فيها أشقاء وأخوة، وفيها مساجد ومعاهد ترفع صوت الإيمان والعقيدة..

تقول إحدى الروايات: أنه عثر على سبعة من الدعاة والأئمة طمرواهم الثلوج وهم في طريقهم إلى إحدى مدن سiberia ، وكانت المفاجأة عندما كشفوا عن جثثهم أن رأوا أكفهم مرقوعة إلى السماء، كمن ينطق بالشهادتين قبل أن يفارقوا هذه الدنيا!!!

